اذ فيه فوضعت السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة
رواه أبو داود والحاكم وورد اسات الكفتين في غير ما حديث وقد أنكر بعض المعتزلة الميزان
ذهابا منهم الى ان الاعمال اعراض لا تمكن وزنها فكيف وقد انعدمت وبلا شك فالوابل
المراد منه العدل الثابت في كل شيء وقد اسند الطبري عن مجاهد قال انما هو مثل كما يجوز
الوزن بحرد الحق وقد دفع ما تمسك به بعض المعتزلة بان الموزون صحائف الاعمال فان الكرام
الكاتبين يكتبون الاعمال في صحائف هي اجسام وقيل بل يجعل الله تعالى الاعراض اجساما
فيجعل الحسنات اجساما نورانية والسيئات اجساما ظلمانية واقتصر المص تبعا للاسلام
على الاول لانه الذي دلت عليه الاحاديث كحديث البطاقة وقد دل حديث البطاقة ايضا
على ان الوزن ليس بحسب مقدار الجرم على ما هو المعهود في الدنيا وهل يعم وزن الاعمال كل
مكلف بنى القرطبي على انه لا يعم واستشهد له بقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي
والاقدام وقد تواترت الاحاديث بدخول قوم الجنة بغير حساب ولا يعقل ان يوزن عمل
من لم يصدر منه ذنب قط تنويها بشرفه وسعادته على رؤس الاشهاد وان يوزن عمل من
ليس له حسنة اعلانا لخزيه وفضيحته على رؤس الاشهاد ومن الحكمة في وزن عمل المذنب
تعريفها مضاعفة الحسنات وهذا مثل السيئات كما سيأتي الاشارة اليه في المتن قريبا وبه
المص على وجه الوزن بقوله ووجهه اي الوجه الذي يقع عليه وزن الاعمال انه تعالى يحدث
في صحائف الاعمال نورا بحسب درجاتها عنده تعالى وعبادة تجد الاسلام في عقائده يحدث
في صحائف الاعمال وزنا الى آخره وعبارته في الاقتصاد فاذا وضعت في الميزان خلق الله تعالى
في كفتها ميلا بقدر رتبة الطاعات وهو على ما يشاء قدرا ثبتت وهي مصرحة بان الذي يخلق
ميل في الكفة وهو الاستلزام خلق ثقل وجرم الصحيفة والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال وربك
يخلق ما يشاء سبحانه وتعالى قال في الاقتصاد فان قيل فاي فائدة في الوزن وما معنى
هذه المحاسبة قلنا الطلب لفعل الله تعالى فائدة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقد دللنا على
هذا اي فيما مر من كلامه قال لهم اي بعد في ان يكون العائدة فيه ان يشاهد العبد مقدار
اعماله ويعلم انه مجزي بعمله بالعدل او مسامح وعفو عنه باللطف ولقد لخص هذا الجواب في العقيدة
القدسية وبعد المص تقوله حتى يظهر لهم العدل في العقاب والفضل في العفو وتضعيف
الثواب وقوله حتى غاية لقوله يحدث في صحائف الاعمال ويلا الى آخره وقال بعض المتأخرين

لا يبعد ان يكون من الحكمة في ذلك ظهور مراتب ارباب الكمال وفضائح ارباب النقصان
على رؤس الاشهاد زيادة في سرور اولئك وخزي هؤلاء فائدة روى ابو القاسم
اللالكائي في كتاب السنة عن حذيفة موقوفا ان صاحب الميزان يوم القيامة جبريل ومن
الشفاعات الكوثر وهو حوض لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون له في العرصة يرده الاخيار
ويذاد عنه اي يرد عنه الاشرار وردت به الاخبار الصحاح التي بلغ مجموعها التواتر
المعنوي فوجب قبوله اي قبول الوارد فيه والايمان به فمن الاخبار الصحاح حديث
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة
شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه
لا يظمأ ابدا رواه البخاري ومسلم وفي رواية لهما حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء
وماؤه ابيض من الورق اي الفضة وحديث انس عندهما ايضا ما بين ناحيتي حوضي كما بين
صنعاء والمدينة وفي رواية لهما مسلما بين المدينة وعمان وفي رواية لمسلم من حديث ابي ذر
عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفي رواية لهما من حديث ابن عمر ما بين جنبيه كما بين جرباء
واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال وعمان بفتح العين المهملة
وتشديد الميم بلدة بالاردن وجرباء بجيم مفتوحة فراء مهملة فموحدة بعدها مد واذرح بهمزة
مفتوحة فذال معجمة ساكنة فراء مهملة كما مهملة والاحاديث فيه في الصحيحين وغيرهما كثيرة
جدا من رواية جماعة من الصحابة وهنا سببان احدهما ان الاحاديث قد اختلفت في مقدار
الحوض كما مر وجمع بينها بانه ليس القصد تقدير تحديد انما القصد الاعلام بسعة الحوض
جدا وانه ليس كحياض الدنيا وقد كبر نبينا صلى الله عليه وسلم وصفه بذلك فخاطب في وصفه
لكل فريق بما يعرفه من مسافة بعيدة ومن قدر المسافة بالزمان لا بالمكان فقال
مسيرة شهر من غير قصد تحديد كما قدمناه والله اعلم الثاني قد فسر المص الكوثر بالحوض وهو
قول عطاء من المفسرين ويمكن ان يستدل له بحديث الصحيح عن انس بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اظهرنا في المسجد اذ اغفا اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال
نزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان
شانئك هو الابتر ثم قال تدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي
عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة انيته عدد نجوم السماء الحديث وانما
يتم الاستدلال اذا حملنا قوله هو حوض عائد الى النهر والظاهر انه خبر عن الخير الكثير

Copyright © King Saud University